

المسرح عيادة نفسية في دراما كوميدية فلسفية

العرض الإماراتي «الساعة الرابعة» يعالج أزمة الذات مع المجتمع في المهرجان التجريبي بالقاهرة



التماسك والتعاون لحل الأزمات الفردية

مكان ضيق، مخصص للتأمل والغوص الداخلي وإذابة العقد والتفاعل المنطقي المزن والامتزاج التدريجي عبر التصاعد الدرامي المدروس.

لجا العرض إلى تقنية "الاقنعة" مرتين، في بدايته ونهايته، للإشارة إلى تساوي مجتمع المجانين (المرضى قبل شفائهم)، ومجتمع العقلاء الأسوياء (المرضى أنفسهم بعد تعافيتهم)، فالأزمة الحقيقية تكمن في أن أحداً لا يعيش بوجهه الحقيقي، ولو فطن الجميع إلى يعيشوا الحالة بارحية، مطلقين قدراتهم التعبيرية باللغة العربية الفصحى السليمة والتي لم تكن متعسفة أو متعالية، وبالحرمة الهادئة الدائرية في

كضورات لمواصلة الحياة والتخلص من الضغوط والإحباطات والإخفاقات.

تضافرت عناصر الديكور المحبوك للعبادة النفسية، وإضاءة محمد جمال القائمة على الكشف والتعمية وتكثيف الضوء على المتحدث والجالس على كرسى الاعتراف، والساعة الكبيرة المعلقة على الحائط مشيرة عقاربها إلى الرابعة، وموسيقى موسى البلوشي المتوترة المحسوبة بتكات الساعة الصاخبة، في صياغة عمل متكامل مريح للممثلين كي يعيشوا الحالة بارحية، مطلقين قدراتهم التعبيرية باللغة العربية الفصحى السليمة والتي لم تكن متعسفة أو متعالية، وبالحرمة الهادئة الدائرية في

والمسيحين، وهيمنة القوى المتسلطة والأبوية على الشباب إلى درجة إفقادهم إرادتهم واستقلالية شخصياتهم، وسقوط الكثيرين فريسة للإدمان والعزلة والاستلاب وسيطرة الأفكار الهدامة والشذوذ عن الجماعة بما عزضهم للقسوة وربما العقوبة.

وقدم العرض رؤيته للقيم الإنسانية المثلى والمفاهيم الأعمق للإيمان والتسامح والتأخي والصدقة والمحبة

شخصيات العرض وسائل لكشف العيوب السائدة لدى جميع البشر، من الأسوياء كذلك، بما يعني أن كل إنسان معرض للسقوط، ما لم يُطهر ذاته كفر، وما لم يتحرك المجتمع نحو الإصلاح وتدارك الأخطاء ودرء الأخطار.

من بين ما انتقدته العرض الجريء، الذي حرص على البساطة دون إهدار التعمق، التعصب الديني في التعامل بين المتشددين الإسلاميين

وبدت الدراما الكوميدية الفلسفية العميقة متحققة من تلقاء ذاتها من خلال دريشة هؤلاء الهاربين من دنيا الأسوياء مع بعضهم البعض في لحظة معينة، هي الساعة الرابعة، ذلك الموعد الذي تحدد لكل منهم على حدة لمقابلة الطبيب المعالج "تادر".

إذا كان العلاج بالحكي والفضفضة الجماعية العفوية من الأنماط الجزئية الناجحة في الطب النفسي الحديث، فقد سعى المسرح (العيادة) هنا إلى كشف المعاناة الداخلية للسنوات الإنسانية المعذبة في الواقع المزدهم المتبسط، بهدف الوصول إلى تشخيص مشكلات المجتمع وأزماته الطاحنة، واقتراح وصفات علاجية لها.

واتضح مع نهاية العرض أن تحديد موعد واحد للمرضى جميعاً لمقابلة الطبيب ليس خطأ من الممرضة أو من برنامج الحجز في الكمبيوتر "السيستم"، وإنما هي حيلة مقصودة من الطبيب، ليشفوا جميعاً من أمراضهم دون الحاجة إليه، عن طريق تجاوز كل منهم التركيز في محتته الشخصية، ونسيانها، من خلال الانشغال بأزمات الآخرين وأمراضهم ومحاولة الإسهام في حلها.

سلك الطبيب المعالج حيلة أخرى مكنته من إدارة الحوار بين مرضاه، وتوجيهه في المسارات العلاجية المطلوبة، هي أنه تنكر في شخصية أحد المرضى "فؤاد المحامي"، وهو ذلك الذي دفعه جنونه إلى صراحة زائدة، بحيث لم يعد يستطیع التحكم في عباراته الجارحة وشتائمه التلقائية المهينة للآخرين، بما أوصله إلى عزلة إجبارية، وأفقدته كافة فرص العمل، وأخرها عمله كبائع ببقاوات، وهي مفارقة هزلية، إن قلته جميع الببقاوات في توريد الشتائم وفضح نقائص البشر.

ألعاب متداخلة

لم يكتف العرض المسرحي بتقديم مونولوجات ذاتية على كرسى الاعتراف وتفصيل "ديالوجات" بين المرضى في جلسة علاج جماعية، بترها طبيب ذكي، فصنّاع العرض (المجانين) لم ينسوا أنهم فنانون، وأن هذا المكان مسرح وليس عيادة، وقد تجلت الفنيات والجماليات عبر عناصر المسرحية وفرداتها، وتقنيات الاشتغال الدقيقة التي حوّلت الأزمة الطاحنة لكل مريض على حدة إلى قصص متشابكة، وخطوط حياتية متداخلة، ومواقف معقدة التقى فيها الحقيقي والمخيل.

شكل الوسواس القهري القيمة المثالية للحالة المرضية "العامّة"، التي أمكن تفرعيها إلى خصوصيات مرضية ملائمة لكل شخص بمفرده، فكذلك حال المجتمع ككل تحت مظلة المحنة الطاغية، أو تلك الأزمة العامة، المنتشعبة بدورها إلى تفرعات لا حصر لها من تظاهرات كارثية مؤلمة، وإصابات عصبية دامية في البدن والروح.

تطرق العرض إلى عشرات الجروح ومواضع الخلل الفردية والجماعية والظواهر السلبية، متخذاً من السخرية والكوميديا والعيوب المرضية لدى البشر

شريف الشافعي
كاتب مصري



راهنّت عروض المسرح الخليجي المتطورة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي السادس والعشرين الذي اختتم مؤخراً، على التمرّد والتحرر من القوالب النمطية في الأفكار والمعالجة والأداء والتقنيات، ومنها مسرحية "الساعة الرابعة" لفرة جمعية المشاركة للفنون الشعبية والمسرح من دولة الإمارات.

شكل الجنون بواجهه المتعددة محوراً شيقاً وشائكاً في العروض الخيجية بالمهرجان القاهري، ولم تكتف مسرحيات الكويت والعراق والإمارات بإبراز هذا الجنون فنياً ورمزياً وتكنيكياً كعادل للتقوير وكسر الضجر والسام والرغبة في الانفلات من قبضة الروتين اليومي، وإنما جرت ممارستها فعلياً على خشبة المسرح في بعض الأحيان، أي أن الممثلين أنفسهم قد تحوّلوا ببساطة إلى مختلين، في مواجهة الأصحاء. وتبادل الفرقيان الأدوار في الصراع الأزلي الدائر حول السؤال المعلق: "مَن العاقل حقاً، ومَن المجنون؟".

العلاج بالحكي

في العرض الإماراتي "الساعة الرابعة"، على المسرح العائم الكبير في حي المنيل بالقاهرة، من تأليف طلال محمود وإخراج إبراهيم سالم وبطولة محمد جمعة وفيميل علي وآلاء شاكر، ونيفين ماضي ونور الصباح وعبدالله محمد، اختلطت الأوراق وذابت الفواصل بين الخيال والحقيقة، وتلاشت الحدود تماماً بين عالم الفن ومعترك الحياة، باعتبارها مسرحاً كبيراً في الأساس.

هكذا، صار المسرح بديكوره وإضاءته وموسيقاه وتفصيله عيادة نفسية معدة لاستقبال المرضى الممثلين المصابين بالوسواس القهري باشكاله المتنوعة (النظافة، التدخين، الخوف من ضياع الممتلكات، تكرار العبارات، عدم التحكم في الألفاظ، قوبيا الخطوط المتداخلة).



تطرق العرض إلى عشرات الجروح ومواضع الخلل الفردية والجماعية والظواهر السلبية، متخذاً من السخرية والكوميديا والعيوب المرضية لدى شخصيات العرض وسائل لكشف العيوب السائدة لدى جميع البشر



محطات الشفاء والتعافي من القهر والوسواس

